



سأله رهفُل أبا سفيان عن نوعية أتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَبَعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟) قال: بِلْ ضُعَفَاؤُهُمْ! (رواه البخاري).

وكان تعليقه بعد ذلك أن قال: (وَهُمْ أَتَبَاعُ الرُّسُلِ)..

وكان من صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه: (يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَرَرْقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)! (البخاري وأحمد عن الأسود).

وكان يوصي بعض أصحابه ألا يتطلبو من الناس شيئاً، فكان أحدهم إذا سقط سوطه وهو على بعيره لا يطلب من أحدٍ أن يناله إياه حتى ينزل هو فيأخذه.

أفضل طريقة نتعلم فيها البساطة هي الاقتراب من البسطاء ومخالطتهم واعتبار الجلوس معهم.. بإمكاننا أن نتعلم البساطة والعنفية من الشارع، من العامل، من المزارع؛ البساطة الحقيقة غير المفتعلة..

من هذه المدرسة نتعلم أن نخدم أنفسنا لا أن نخدمنا غرباناً، وأن نقوم ونقعد مثل سائر البشر، ويذهب أحدها وهو فلان ويعود وهو نفسه لم ينقص بل زاد.

قال رجاء بن حيّة: ما رأيت أحداً أكمل عقلاً من عمر بن عبد العزيز، سهرتُ معه ذات ليلة، فخفت السراج، فقال لي: يا رجاء، إن السراج قد ضعف، فقلت له: فأنبئه الخامد؛ قال: قد نام، دعه يرقد، فقلت: أقوم أنا فأصلحه؟ قال: ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه، فقام فوضع رداءه، وأتى السراج ففتحه، وأخذ زيتاً وصبّ في السراج منه، ثم رجع وهو يقول: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز. والقصة رواها البيهقي في "شعب الإيمان" (برقم: 9194)، وأبو

نُعَيْمٌ فِي "حَلَيةِ الْأُولَى إِلَاءً" (5/332)، وابن عساكر، بسندٍ صحيحٍ.

ومن هذه المدرسة نتعلم أن نقوم على خدمة الآخرين؛ لنهذب نفوسنا وننفع عنها عائلة الكبر والتعالي والانتفاخ، وليس للظهور بذلك!

وعندما تتمحور علاقتنا وصاقتنا حول العلية، والأكابر، والأثرياء، وأصحاب المقامات الاجتماعية الخاصة.. فسوف ننطبع غالباً بأساليبهم وطرائق عيشهم ونناظرهم في المستوى، وتتولد لدينا الرغبة في محاكاتهم والترفع عن دونهم.

يُولد الأطفال على بساطتهم؛ فالبساطة تحكي الفطرة، وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُبقيانه على صفاتها ونفائها وعفويتها، أو يُلِّسانه الطبقية أو التمظهر أو الافتخار بالأشكال وتقمص الأخلاق (البرجوازية) أو (الأستقراطية) كما يعبرون عنها في تاريخ الغرب..

البساطة.. تعطيك عمراً إضافياً وتحنك شخصيتك الحقيقية، وتساعدك على أن تعيش كما أنت لا كما يريد الآخرون منك.

والرسمية والمجاملة ومجاراة رغبة الآخرين تقضي على العمر، وقد تصحو في نهاية عمرك على ساعات مهدرة وضائعة.

البساطة تختصر لك الصداقات، وال العلاقات، والكلام.. وكل مناشط الحياة، وتُدْخِر لك منها الأجمل والأصفى والأعمق.

والتكلف يجعلك تمضي في دهاليز متعرجة، محجوباً عن رؤية ذاتك، عاجزاً عن معرفة ما تريد، معتقداً على أن تمشي وعينك على الآخرين؛ مازا يريدون منك، وما انتبه لهم عنك!

والآخرون في الحقيقة يريدون منك أن تعيش على سجيّتك، وأن يروك على بساطتك، وأن يعرفوا ذاتك الصحيحة وليس التمثيل الذي تعودت على إتقانه وتشبّعت به..

ولكن ربما لم تقرأ مافي نفوسهم جيداً، أو اكتفيت منهم ببعض القربيين منك الذين تظن أنهم كل ( الآخرين ) !

البساطة تجعل من القلب باباً مفتوحاً يلجه الراغبون ببساطة؛ لا حقد، لا حسد، لا غيرة، لا طمع.. لاشروط تعجيزية!

البساطة تربط صداقة حقيقية بينك وبين نفسك.. فتقرب منها أكثر، وتستمع إليها، وتتعرّف عليها، وتسمع صمتها أو ضجيجها!

وحين تلبس عباءة الرسمية والتمظهر فأنت تتصنّع الحاجز بينك وبين ذاتك، وتبتعد عنها بقدر انكفاك وابتعادك واحتشامك عن الضعيف، والفقير، والغريب، والصغير، والمريض، والمغلل..

قال - صلى الله عليه وسلم - : «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ» . قَالُوا بَلَى . قَالَ : «كُلُّ ضَعِيفٍ مُّتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَأُهُ» . ثُمَّ قَالَ «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ» . قَالُوا بَلَى . قَالَ «كُلُّ عُذْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ» ( البخاري ومسلم ).

وفي بعض الروايات: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُّتَضَعِّفٍ ذِي طَمْرَيْنِ (أي: ثوبين متواضعين)، لَا يُؤْهِلُهُ لَهُ» !

المصادر: